اجتهادات
فضلُ ديفيز الكبير

لا يلقى الأدب العربى المُترجم اهتمامًا من الناشر الإنجليزى. لم يأت دينيس ديفيز أهم مترجمى الأدب العربى إلى الإنجليزية بجديدٍ فى هذا الكلام الذى يعرفه المهتمون بالموضوع. ولكن ما لم يكن معروفًا بالدرجة نفسها قولُه إن اهتمام القارئ الإنجليزى محدودُ بالكتب المُترجمة عمومًا، وعن أى لغةٍ كانت. ولكن هذا لا ينطبق على كتبٍ يكتُبها مؤلفوها بالإنجليزية, مثل محمد حسنين هيكل وإدوارد سعيد وعبدالوهاب المسيرى وغيرهم. ولهذا سيكونُ مثيرًا إجراء مقارنةٍ مثلاً بين مبيعات كتب هيكل المكتوبة بالإنجليزية، وكتبه الأقدم التى تُرجمت إلى هذه اللغة. ومن أهم ما يخبرنا به ديفيز، فى كتابه الذى تُرجم تحت عنوان «ذكريات فى الترجمة – حياة بين خطوط الأدب العربى»، أن الناشر الإنجليزى لم يتحمس لأعمال نجيب محفوظ التى ترجمها إلا بعد حصوله على جائزة نوبل فى الآداب.

يتضمن كتابُ ديفيز كنزًا من المعلومات، التى نقلتها إلى العربية د. عفاف عبدالمعطى بحرفيةٍ عالية أضفت عليها مُراجعةُ د. محمود مكى رونقًا. فالترجمة ليست عمليةً آلية، رغم أن الكثير منها كذلك. الترجمة إبداعُ يقومُ على تفكيرٍ فى النص المُترجم, وتأملٍ فى بيئة المؤلف الاجتماعية والثقافية، ومعرفةٍ واسعةٍ باللغتين لأن فى الترجمة لقاءً بين ثقافتين.

وكأن د. عبدالمعطى و د. مكى أرادا أن يردا إلى ديفيز شيئًا من فضله الكبير على الأدب العربى الذى أحسن ترجمته، فأجادا فى ترجمة كتابه. وتبدو حالة ديفيز نادرة. أجاد اللغة العربية فى وقتٍ مبكر، وأقام علاقات صداقة متفاوتة مع الأدباء العرب الذين ترجم لهم وغيرهم، فتوافرت له مقومات إنجاز ترجمات رفيعة المستوى.

وربما ما كان نجيب محفوظ يُعرفُ عالميًا، ويحصل بالتالى على جائزة نوبل، ما لم يترجم ديفيز بعض أهم أعماله منذ أن عرفه عام 1945 وأُعجب به، فصارت صداقةً بينهما. ولم يقتصر دوره على الترجمة، بل امتد

إلى البحث عن ناشرين لترجماته, التى شملت بعض أعمال توفيق الحكيم ومحمود تيمور ويوسف إدريس وغسان كنفانى والطيب صالح وجبرا إبراهيم وليلى بعلبكى وغيرهم.